

## المقاومة والمثاقفة في الأدب الجزائري المترجم

حتمية لسانية أم موقف ترجمي؟

## Resistance and Acculturation in the Algerian Translated Literature

## A Linguistic Necessity or a Translatorial Position

ميلود بوخال

جحيش عيسى\*

المركز الجامعي صالحى أحمد - النعامة - الجزائر

جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر

nourayasoulaf@gmail.com

Aissadjehiche82@gmail.com

تاريخ القبول: 2021-12-30

تاريخ التقييم: 2021-11-04

تاريخ الارسال: 2021-07-21

## الملخص:

يتناول هذا البحث ثنائية المقاومة والمثاقفة في الترجمة الأدبية، وبالتحديد في الأدب الجزائري المترجم؛ إذ يعرض أولاً لمحة عامة عن فعلي المقاومة والمثاقفة وعلاقتها بالترجمة، ثم يشير إلى أهمية الآخر (l'autre) و دوره باعتباره معيار الفصل بين مقاومة لغة أو نص ما وبين ثقافتهما، ويتطرق بعدها إلى علاقة المترجم بالآخر تحت مسمى أخلاقيات الترجمة. ثم وعملاً بفرضية أن استراتيجيات التوطين في الترجمة استراتيجية مقاومة وأن استراتيجيات التغريب استراتيجية مثاقفة حسب بعض المنظرين يسوق هذا البحث أمثلة منتقاة من روايتين مترجمتين: رواية نجمة (Nadjma) لكاتب ياسين ترجمة السعيد بوطاجين عن الفرنسية ورواية الزلزال للطاهر وطار ترجمة مارسيل بوا (Marcel Bois) عن العربية. يتناولها بالدراسة في محاولة لكشف مظاهر المقاومة في الرواية المترجمة من الفرنسية ومظاهر المثاقفة في الرواية المترجمة من العربية، وهل فعلاً المقاومة والمثاقفة تفرضهما لغة الهدف على المترجم أم أنهما خيار ثقافي وتوجه هوياتي وموقف ترجمي؟

## كلمات مفتاحية:

الأدب الجزائري المترجم؛ المقاومة؛ المثاقفة؛ الآخر؛ أخلاقيات الترجمة؛ الموقف الترجمي.

**Abstract :**

This research deals with resistance and acculturation in literary translation particularly, in the Algerian translated literature. It first provides an overview about resistance and acculturation and their relationship with translation. Then, it mentions the role of the other considering him/her as the major norm of either resisting or acculturating with a language or a text. The research also discusses the ethical attitude of the translator with the other. Then, in an attempt to validate the hypothesis that adopting domestication in translation means resisting the other, while adopting foreignizing strategy means promoting acculturation with the other, the research deals with selected examples taken from two translated novels – The Arabic translation of Nadjma and the French translation of Ezzilzal- in order to reveal, the aspects of resistance while translating from French and the aspects of acculturation while translating from Arabic. And finally answer the question of what may push translator to translate in a given way.

**Keywords :** Algerian Translated Literature ; Resistance ; Acculturation ; the Other ; Ethics of translation ; Translatorial position

\*المؤلف المراسل .

**1. مقدمة:**

الحديث عن الترجمة حديث كذلك عن نص أصلي، والنصوص\_ وخصوصا النصوص الأدبية\_ لا تعبر فقط عن ما بداخلها من ألفاظ محددة، ودلالات سطحية، بل تتعدى ذلك بكثير، فقد تشخص أزمة أو تنقل خبرة أو ثقافة أو تعالج قضية اجتماعية أو سياسية في نسيج معقد يربك المترجم (ناقل هذه الظواهر) في أحيان كثيرة، ويجعله أمام رهان تقريره مصير أمة ما، فتارة يحذف وأخرى يضيف وثالثة يتصرف، ومن بين الآداب التي تعد نموذجا يحفل بمثل هذه الأنسجة المعقدة-الأدب الجزائري المترجم، الذي تشكلت فيه هذه المطبات لاعتبارات تاريخية تمثلت في الاستعمار وما بعد الاستعمار من تحولات. ومترجم هذا

الأدب إذ ذاك يجد نفسه أحيانا في تأهب وصراع مع النص وتراكيبه وأحيانا أخرى في حالة تواطؤ وترحيب بتراكيب غريبة عن لغته الأصل، وربما يعود ذلك إلى أصل الرواية أو إلى مدى احتكاك المترجم بالبيئة التي يترجم إليها؛ فحديثنا عن المترجم في هذه الدراسة لا نعني به المترجم ذا الأصل الجزائري فحسب بل المترجم ذا الأصل الفرنسي كذلك؛ إذ أننا قد اخترنا أن ندرس أمثلة من روايتين مترجمتين، الأولى رواية نجمة (Nadjma) لكاتب ياسين ترجمة السعيد بوطاجين عن الفرنسية والثانية هي رواية الزلزال للطاهر وطار ترجمة مارسيل بوا (Marcel Bois) عن العربية.

لا يمكن للمترجم أن يستقر على منهج واحد أثناء ترجمة نص ما، فقد تفرض عليه العقبات اللسانية التي يواجهها وتصوراتها عن الآخر الذي يترجم عنه ومؤثرات أخرى، أن يتخذ موقفا معينا، فيكون إما منفذا لفعل المقاومة أو مفضلا فعل المثاقفة أثناء الترجمة، وما ستضطلع به هذه الدراسة هو توضيح علاقة هذين الفعلين بالترجمة، والإشادة بمكانة الآخر فيها، وتسليط الضوء على جانب من أخلاقيات مهنة الترجمة كما ستأتي على الكشف عن موقف المترجم إزاء أي مؤثر في نشاطه الترجمي، وذلك ببحث مواطن التوطين والتغريب في ترجمة الأمثلة المنتقاة من الروايتين المترجمتين.

## 2. علاقة المقاومة والمثاقفة بالترجمة:

سجّل تاريخ الشعوب كثيرا من أحداث التلاقح الثقافي والمعرفي الذي يدين للترجمة بالفضل الكبير، فلولاها لما عرف العرب أدب الهند وعلوم اليونان، ولما عرف الغرب أعلام العرب، ولا أدب الهند، ولا علوم اليونان، وقد أقرّت المستشرقة الألمانية زجريد هونكه (Sigrid Hunke) أن الأوربيين قد اعترفوا بدور العرب في التاريخ وذلك حينما 'نقلوا' كنوز القدامى إلى بلاد الغرب (01) والمتفقد لأصول أولئك الأعلام الذين نُسبوا إلى العرب من علماء ومترجمين أمثال ابن المقفع وابن سينا والفارابي وغيرهم، يجدها غير عربية، ما يشير إلى وجود عوامل أخرى جعلتهم يتناسون انتمائهم العرقي والجغرافي.

ولقد أكدت المستشرقة هونكه على أن وحدة اللغة ووحدة الدين وكذا قوة الشخصية عوامل من شأنها أن تتجاوز سؤال الانتماء بين الأفراد لبناء حضارة راقية، فبفضل الفتوحات الإسلامية امتزج العرب بأعراق مختلفة بين فرس وهنود وسريان وغيرهم فجمعهم اللغة الواحدة والدين الواحد، فساهم غير العرب ممن تأثروا بلغة العرب

وموروثهم الثقافي في قيام النهضة العربية، تقول هونكه: "... كان منهم أيضا فرس وهنود وسريان ومصريون وبربر وقوط غربيون ساهموا جميعا في رسم معالم تلك الحضارة. بدليل أن كل الشعوب التي حكمها العرب اتحدت بفضل اللغة العربية، والدّين الإسلامي، وذابت بتأثير قوة الشخصية العربية من ناحية، وتأثير روح العربي الفذ من ناحية أخرى، في وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم" (02).

ويمكن القول أن التعاملات البشرية لا تفضي إلى تلاحق لغوي فحسب بل إلى تلاحق في القيم وتغيّر في أساليب الحياة تحت مسمى الحضارة، فالحضارة تفرض ما يسمى بالثقافة، التي عزّفتها البعلبكي في قاموسه بـ 'التمازج الثقافي' الذي ينتج عن الاحتكاك الطويل بين جماعتين (03) لكن السؤال المطروح ماذا لو تعصّبت كل جماعة لذاتها؟ ماذا لو تحيّز أولئك المترجمون من غير العرب لأصليهم وتعصبوا لذواتهم؟ ماذا كان سينجرّ عن ذلك يا ترى؟

يمثّل الاستعمار التقاء جماعة بجماعة أخرى كذلك، لكنه التقاء من نوع خاص يشير إلى وجود طرف قوي مسيطر وطرف آخر خاضع، وقد اهتمت دراسات ما بعد الكولونيالية في الترجمة بقضايا الاستعمار والهيمنة، إذ وصفت وجود اضطرابات في القوى المسيطرة على الترجمة؛ فقد كان للمستعمر هيمنة عسكرية، واقتصادية، وسياسية، وحتى لغوية جعلته يتحكم في حركة الترجمة ويستخدمها وسيلة لتحقير المستعمر وتهميش لغته وثقافته، مما حرّض هذا الأخير على الانتصار لذاته وثقافته ومقاومة المستعمر بكل أشكال (04). ولئن كانت هنالك محاولات لتعلم لغة المستعمر يمكن أن تؤخذ بمفهوم الثقافة إلا أنها تضمير نية المقاومة وهذا ما أكّده المنظر الأمريكي فينتي (Venuti) حين قال: "ربما لا يكون للمستعمر حوافز اقتصادية أو دعم لتعلّم اللغة الاستعمارية أو ربما يرفض أن يتعلمها؛ ربما يعلمها بعضهم لبعض كوسيلة للتغلب على وجود المستعمرين وتطويقهم" (05).

إن الجزائر من بين المستعمرات التي تعرضت لسطوة الاستعمار ردحا طويلا من الزمن، لكنها لم ترضخ له بل قدّمت النموذج الأبرز لفعل المقاومة بكل أشكاله؛ فقد قاومت عسكريًا بثورة مسلحة، وسياسيًا بتشكيل أحزاب تتفاوض مع المستعمر، ولغويًا باستخدام لغة المستعمر ضده، وخدمة لمصلحة الوطن على حد قول كاتب ياسين أن "الفرنسية غنيمة حرب" لذلك نجده قد استغلها في كتاباته على غرار كثير من كتاب المستعمرات الذين درجوا على الكتابة بلغة المستعمر لإثبات ذواتهم وخصوصياتهم، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "... ومن أن الكتاب غير الأوروبيين من أهل أفريقيا الشمالية قد استعملوا لغة أجنبية للتعبير عن أفكارهم الإسلامية، فإنهم قد حاولوا -وخصوصا محاولة ياسين الناجحة- أن

يحافظوا على طبيعتهم التقليدية الخاصة" (06)، لذلك نجد الكتاب الجزائريين أمثال كاتب ياسين ومالك حداد ومحمد ديب وغيرهم قد أدوا دور السفير، فتكلموا بلسان أحوالهم المعاشة وعبروا عن بيئتهم وقضية بلادهم بلسان غير عربي لكنه بليغ أدى فعل الترجمة بامتياز، فقد عرفوا بقضيتهم بلغة أخرى نقلوا بها إحساسهم بصدق محافظين بذلك على الخصوصيات الثقافية التي تتمظهر في كتاباتهم لا يرون في ذلك سخفا ولا شيئا، فهم في حالة مقاومة، مقاومة "للتغريب" -كما يقول أبو القاسم- أو الغربة التي يعيشونها في بلاد غير بلادهم ومقاومة للأخر وبيئته التي تكاد تستولي عليهم وتنسبهم عاداتهم وتقاليدهم.

إنّ كتابةً مقاومةً كتلك الكتابات تكاد تكون منهجا أو إستراتيجية في الترجمة، فلا ينقصها إلا أن تنطق بلسان عربيّ يفصح عن هوية الفرد الجزائري وانتماؤه، ويبدو أن نقل تلك الأعمال إلى اللغة العربية قد أكد نية المقاومة وإن كان نقلاً يسيراً.

وبالحديث عن استراتيجيات الترجمة فإن هنالك إستراتيجيتان تمثلان فعلا المقاومة والمثاقفة أحسن تمثيل، إنهما استراتيجيتا التوطين (Domestication) والتغريب (Forgienizing)، اللتين ناقشهما المنظر لورانس فينوتي في كتابه (The Translator's Invisibility 1995) مؤسساً على فكرة الفيلسوف الألماني شلايرماخير (Schleiermacher) في الترجمة، وبذلك فهو يقصد بالتوطين إضفاء طابع المحلية على نص الأخر، وتهذيب خصائصه اللغوية والثقافية عند نقله إلى بيئة غير بيئته الأصلية، وقد وُصفت هذه الاستراتيجية بأنها تعصب وتمركز حول الذات، وهذا تعد رمزا لمقاومة الأخر، وفي المقابل نجد التغريب رمزا للمثاقفة؛ إذ تُنقل عبره الخصائص اللغوية والثقافية بما فيها من غرابة إلى بيئة جديدة، مستدعية القارئ إلى الاطلاع على ثقافة غيره والاستفادة منها(07)، غير أنه يمكن فهم هذين المصطلحين فهماً عكسياً؛ فمثلا أن توطن نصا ما للغتك معنى ذلك أن تكيفه حتى يتلاءم ويتناقف مع المعايير النصيّة والثقافية لبيئتك، أما التغريب فيمكن فهمه بأنه مقاومة المترجم لذاته وميولاته ونزعاته (والتي هي بتعبير المنظر الفرنسي بيرمان النزعات التشويهية (Les tendances déformantes))

لقد تناول بيرمان جملة من النزعات التي تؤدي بالمترجم إلى تحريف معنى الأصل والتقليل من شأن الأخر إن متعمداً أم غير قاصد، ويقترح أن يقاوم المترجم تلك النزعات الذاتية ويقوم بترجمة الحرف (la traduction de la lettre) لغاية أخلاقية تقوم على مبدأ تقبل الغير بغيريته (08)، وهو بذلك يعد من مناصري "الترجمة المثاقفة" في مقابل "الترجمة المقاومة" التي تتجلى في الكتابة بلغة المستعمر وتليها حركة النقل إلى اللغة الوطنية أو إعادة

الترجمة' (Retranslation) بتعبير روبنسون عن مذهب تاجسويني نيرانجانا Tajswni Niranjana في الترجمة (09).

### 3. مكانة الآخر في الترجمة:

ترد لفظة الذات مقابلة للآخر الذي يوصف بتسميات متعددة كالعدو والصديق والأخت إلى غير ذلك على اختلاف الجنس والعدد، كما أنه قد يطلق على مؤلف كتاب أو كاتب رواية كما يراه المترجم. وقد حظي موضوع الآخر في حقل دراسات الترجمة باهتمام منظرين كثر وعلى رأسهم الفرنسي أنطوان بيرمان (Antoine Berman) والأمريكي لورانس فينوتي (Lawrance Venuti) على الرغم من وجود فروق طفيفة بينهما.

لقد ناقش المنظر الفرنسي "بيرمان" أفكارا مهمة في عمل المترجم، وأدرج مفاهيم جديدة في نظرية الترجمة انطلاقا من دراسته لأعمال الرومانسيين الألمان في كتابه المشهور (*L'épreuve de l'étranger: Culture et traduction dans l'Allemagne romantique, 1948*) وخصوصًا ترجمات الفيلسوفين هولدرلين 'Hölderlin' وفريدريك شلاير ماخر 'Friedrich Shleiermacher'، لذلك نلمح في بعض مفاهيمه بعدا فلسفياً كالتأمل وأفق المترجم والأخلاق، وفي البعض الآخر بعدا عملياً كالمشروع والتجربة والتحليل والنقد، إلا أن مفهوم الأخلاق هو الأهم في هذا السياق، فقد أسقطه بيرمان على الذات المترجمة وضرورة اعترافها بالآخر وتقبله واحترام خصوصياته والترحيب به في 'نزله' الجديد، كما يقوِّض في المقابل أي نوع من التطوع أو التحوير أو التعصب للذات أثناء القيام بعملية الترجمة والذي من شأنه أن ينتج ترجمة دعاها بيرمان بالترجمة المتمركزة عرقياً (Traduction Ethnocentrique)، فهي تكسّر عقلية الانغلاق على الآخر (10)، ويتفق فينوتي مع بيرمان في هذا الموقف إذ يرى أنه كلما اعتمد التوطين في الترجمة تزداد حدة مركزية الأنا وبالتالي تعصبها لذاتها ورغبتها في فرض هيمنتها على الآخرين (11)، ويبدو أن كلا الموقفين سليم، فالترجمات التي لا تفتح الباب لاستقبال الآخر والحوار معه لتتيح إمكانية الأخذ والعطاء تظل ترجمات مغلقة مكتفية بذاتها تخفق في استضافة الآخر وإحلاله محله المناسب وبالتالي تخفق في المثاقفة.

وكما دعا بيرمان للإخلاص للحرف ونقل الآخر بكل ما فيه من غرابة، كذلك يدعو فينوتي إلى ما سماه بأخلاقيات الاختلاف (Ethics of difference) أي الحفاظ على غرابة الآخر عند النقل، ويبدو أن كلا الفكرتين تصبّان في خانة واحدة، غير أن فينوتي يذهب أبعد من ذلك (ربما مستلهما من بيرمان لأنه درسه وترجم له) إذ يرى في المترجم ذاتاً لها ما يميّزها، فلا يمكنها أن تختفي أو تذوب في الآخر عند نقل عمله، كما إنه يراها جديرة بأن

تكون مؤلفًا ثانيا لهذا العمل، ذلك لأن الترجمة لا تُنتج في ظروف مماثلة لتلك الظروف التي نشأ فيها النص الأصل ولا لذات الغاية التي أُنتج من أجلها (12)، فضلا عن أن للترجمة دور بارز في التعريف بالآخر ويعمله كما توسّع دائرة تلقيه خارج لغتها، ومن الوارد أنها تكون سبب شهرته بل وتخليده حتى، ذلك لأن الترجمة فيما يراه والتر بنجامين (1923) هي منح النص حياة مستمرة 'Überleben' فلا يجوز الإنقاص من شأنها، ففي كل الأحوال هي تخدم الأصل وإن كانت تطوّع لغته لأسباب كإكراهات نصية أو خارج نصية تملّحها جهات كالمؤسسات التابعة لها والمراقبة لنشاطها.

ولفينوتي قول في مساهمة المترجم في تهميش عمله وبخسه حقه وإخفاء ذاته، ذلك لأنه يعدّ نفسه (أي المترجم) فنانا متشبعًا بفنه لا يهتم إلا بأدواته ولا يجد وقتا للكتابة عن ظروفه ولا للتفكير في تحسينها لأنه في سعي دائم وراء فتاة يعيش عليه والأُنكى من ذلك - كما يقول فينوتي- أنه يشعر بالرّضا عند الثناء على ترجمته التي اتبع فيها استراتيجية التوطين ليوهم القراء بأنهم يقرؤون الآخر وكأنه منهم ويعلم ما يريدون (13).

يؤكد فينوتي على ضرورة أن يتخذ المترجم، ولاسيما المترجم الأنغلوأمريكي، موقفًا معارضًا من سياسة الاختفاء هذه، لأنها تُفقد المترجم هيئته وتسلبه القدرة على بعث أخلاقيات الاختلاف التي تقتضي تصوير الآخر بصورة مغايرة للأنا وبالتالي إنزاله منزلته التي تليق به فهو ذات متفردة بخصائصها ويمكنها حتى أن تزيد من وعي الأنا بنفسه، ومن أجل ذلك يقترح فينوتي اتباع إستراتيجية مقاومة في الترجمة (وهي استراتيجية التغريب) 'Foreignizing'، استراتيجية تقوم على مبدأ الكتابة في فضاء بيئي يُبدي دور المترجم من جهة ويحافظ على تميز الغير بخصائصه اللغوية والثقافية من جهة أخرى وذلك حتى لا تصدر ترجمات ذات طابع 'إمبريالي مهيمن' (14).

ولئن كان فينوتي قد أحسن للآخر بمناصرتة واتباعه لإستراتيجية المقاومة هذه، إلا أن كتاباته وتنظيره للترجمة كان دوما حبيس تلك الدائرة الأنغلوأمريكية التي لا يفتأ يذكرها في كتبه، ولا ريب في أنه من نقاد الإمبريالية وخدمها في مقدمتهم المترجمون - والمترجمون إلى اللغة الإنجليزية على حد قوله- الذين يُنتجون ترجمات تفوح منها رائحة 'المركزية العرقية والإمبريالية والترجسية الثقافية' (15)، ويبدو من خلال ما ناقشه في كتبه أنه لا بد من الموازنة بين الترجمة إلى اللغة الإنجليزية والترجمة منها، فهي وبحكم أنها لغة العصر تظل متهومة بطابعها الإمبريالي والاستحواذي، لذلك وجب إظهار الآخر في الترجمة وحفظ مكانته.

إنّ موقف فينوتي من التغريب موقف بقدر ما يبدو غاية في النزاهة يدعو في الآن ذاته إلى التأمل في جانبه الآخر، ذلك لأنّ التغريب قد يسهم في ذوبان الأنا في الآخر ولاسيما إن كانت لغة الآخر لغة عالمية، فالترجمة من اللغة الإنجليزية وإليها لا تقارن بما يترجم من وإلى أي لغة أخرى، وليس من المفاجئ أن نجد انتقادات لفينوتي بشأن التغريب تناولتها مقالة نشرت سنة 2013 في مجلة نورديك للدراسات الإنجليزية *Nordic Journal of English Studies* ومن أهم هذه الانتقادات موقف مايكل كرونين Michael Cronin الذي يبدي أن استراتيجية التغريب لا تخدم إلا جهة واحدة فقط، أي عندما تكون الترجمة من لغة الأقليات إلى لغة العولمة والهيمنة (كاللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية مثلا)، أما عندما تكون من اللغات المهيمنة إلى لغة الأقليات كالأيرلندية والبنغالية والعربية - وإن كانت بنسب متفاوتة- فالأولى انتهاج التوطين في الترجمة وسيلةً لمقاومة هيمنة لغة الآخر وحفاظاً على التنوع اللغوي (16)، ومن هذا المنطلق تقتضي الضرورة أن يعتمد المترجم من الصنف الثاني ( أي المترجم إلى لغة الأقليات) التوطين في الترجمة حتى لا يخسر ذاته أو يسهم في محوها، لكن هل نراه يستطيع ذلك؟ أم ستبقى مجرد ميولات أسلوبية لا غير؟

#### 4. محنة المترجم:

إن كان مفهوم الأخلاق في الترجمة عند بيرمان وفينوتي يفرض "مسؤولية" الحفاظ على خصوصيات الآخر فإنه لا شك يمنح المترجم حرية ما، حرية الموافقة على شروط ترجمة عمل ما أو رفضها، إنها حرية الاختيار التي لا تبرحه طيلة رحلته مع النصّ. وبدل الخوض في المفهوم العتيق للحرية المرتبط بالترجمة الحرة في مقابل الحرفية (Free vs Literal) والكلمة بكلمة في مقابل المعنى بالمعنى (word for word vs sense for sense) والذي يعود بنا إلى الحقبة الأولى من الكلام عن الترجمة، يكون الحديث عن مفهوم الحرية الذي اكتسب مؤخرا بعدا أخلاقياً أسنى وأولى، ولما لم توجد هنالك حرية دون مسؤولية وأن هذه الأخيرة هي من تستوجب الحرية صار لزاما التطرق لمفهوم المسؤولية أولاً ثمّ الحرية أو الأخلاق -بمعنى ما- ثانيًا.

لقد كان أنطوني بيم Anthony Pym المنظر السباق في اعتبار الترجمة "مسؤولية" وقد ناقش هذا المفهوم في كتابه "من أجل أخلاقيات المترجم" (*Pour une éthique du*



<sup>1</sup>(Traducteur, 1997). فالترجمة عنده مسؤولية، وهذه المسؤولية هي أساس أخلاقيات الترجمة، فإذا وافق المترجم على تحملها جاءت الأخلاق - التي يمكن إبدالها هنا بالحرية المقننة- لتحكمها وتراقبها فتكسبها بذلك طابعها المهني (17). ويرى بيم أن لهذه المسؤولية حدوداً، فالمترجم ليس مسؤولاً عن كل ما يتصل بترجمته، فقد يكون مسؤولاً عن أشياء (كنقل النص كاملاً غير منقوص) وليس مسؤولاً عن أخرى كإيمان المتلقي بأنه يقرأ ترجمة تتطابق تطابقاً تاماً مع النص الأصل (18)، ولا شك أن هذه ملاحظة جيدة، فالمترجمون براء من الاعتقادات السائدة لدى جمهور القراء عن الترجمة، لكن أليس العميل الذي يتعامل معه المترجم من جمهور القراء؟ ألا يعتبر المترجم مسؤولاً عما سيحدثه موضوع ما (كتاب ما) في ثقافته؟ أليس مسؤولاً عما سيحدث لمهنة الترجمة نفسها؟

لقد أجاب بيم عن هذه التساؤلات انطلاقاً من قول قديم لشيخ المترجمين العرب 'حنين بن إسحاق' فحدد بذلك ثلاثة مستويات للمسؤولية (1\_مسؤولية تجاه الموضوع 2\_ومسؤولية تجاه العميل 3\_ومسؤولية تجاه المهنة)، فالمسؤولية تجاه الموضوع يقصد بها مراجعة الترجمة وتعديلها بل وإعادة ترجمتها بالكامل إن لزم الأمر، أما المسؤولية تجاه العميل فيقصد بها إرضاء العميل والترجمة حسب متطلباته وشروطه، وأما ما يقصده بالمسؤولية تجاه المهنة فهي تلك المسؤولية التي تقع على عاتق المترجم حينما يكون قامة في مجاله وأي منهج ينتهجه في الترجمة أو سلوك يسلكه تحت مسماهما يعد مسؤولاً عنه فيعود إما له أو عليه (19).

ونلمح هنا الطبيعة المهنية التي قارب من خلالها بيم مفهوم المسؤولية، فقد ابتعد تماماً عن سياق الترجمة الأدبية لكن لو أردنا إسقاط هذا المفهوم على الترجمات العربية للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية لتبين أن نصيباً كبيراً من المسؤولية تتحمله دور النشر الجزائرية، فحينما نجد مثلاً: ترجمة هذا الأدب في الجزائر محض جهود فردية ونجد أن دور نشر غير جزائرية تكلف مترجمين بترجمة أدب جزائري زد على ذلك أنهم مترجمين غير جزائريين ولا مغاربة كسامي الدروبي ونهلة بيضون وخليل أحمد خليل وغيرهم مما يزيد في

<sup>1</sup> صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية سنة 1997 للباحث الأسترالي أنطوني بيم الذي يشغل حالياً منصب أستاذ متميز في الترجمة والدراسات بين الثقافية، يكتب بيم باللغة الإنجليزية ولعله كتب هذا الكتاب باللغة الفرنسية في إشارة منه إلى مصدر موضوع الأخلاق في الترجمة لأنه كثيراً ما يحيل فيه إلى بيرمان أبو الأخلاق في الترجمة، ولقد اعتمدت في الاستشهاد على الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب التي صدرت سنة 2012 بإشراف المؤلف ومراجعتة.

احتمالية إخفاقهم في نقل العامية الجزائرية مثلا أو بعض الإيماءات أو بعض الخصوصيات التي يختص بها المجتمع الجزائري ندرك حينها أن هنالك نوعا من اللامبالاة والتقصير في تحمل المسؤولية الترجمية اللازمة في الجزائر. ولو أمعنا النظر فيما ترجمه المترجمون الجزائريون أمثال محمد ساري والسعيد بوطاجين لوجدنا أنها مبادرات فردية جديرة بالاحترام فيتوجب حينها التماس ما يغطي بعض النقص الملموس في ترجماتهم إلا أن فعلهم ذلك لهو السلوك الأصوب الذي يعبر عن موقف المترجم الحق وشعوره العميق بالمسؤولية تجاه مهنته وبالتالي أخلاقيات الترجمة والتي تتمثل هنا -وبعيدا نوعا ما عن أخلاقيات بيم- في أن يتحمل المترجم الجزائري مسؤولية نقل الأدب الجزائري حتى يهبه حظه من الانتماء.

إن كان هنالك وصف يمكن أن يوصف به المترجم فهو الكائن المسؤول دائما أو بتعبير أدق المخلوق الأسير دائما، حتى وإن ادعى ويزعم أنه ينتهج منهجًا حرًا في ترجمته وأنه يهدم أنساق النص ويعيد صياغته من جديد فما فعله ذلك إلا ليقع في قيود أخرى وأسر آخر تحت سلطة أخرى وهي سلطة القارئ مثلا، وبناءا على هذا جاز القول أنه لا وجود أبدا لمترجم حر يتصرف في حرية تامة ما دام يخضع لسلطات متعددة كسلطة الآخر بمعنى سلطة المؤلف وسلطة النص وسلطة المؤسسة التابع لها وسلطة القراء بجميع مستوياتهم فالمترجم إذن في محنة بل في محن عديدة فأنى له أن يقاوم كل تلك السلطات وأنى له أن يتناقض معها كلها؟

##### 5. بحث مظاهر المقاومة والمثاقفة في الرواية الجزائرية المترجمة:

بناء على ما ذكرنا سابقا من أن استراتيجية التوطين (*Domestication*) تعبر عن مقاومة اللغات المهيمنة وأن استراتيجية التغريب (*Foreignization*) تعبر عن ثقافت اللغة المهيمنة مع اللغات الأخرى فقد اخترنا لدراسة المقاومة بحث مواضع التوطين في الترجمة العربية لرواية نجمة، أما لدراسة المثاقفة فقد اخترنا تعقب مواطن التغريب في الترجمة الفرنسية لرواية الزلزال مع اعتبارنا لأهمية جهة الترجمة فإن كانت من الفرنسية فهي نوع من المقاومة وإن كانت من العربية إلى الفرنسية فهي ضرب من المثاقفة.

##### 1.5. مظاهر المقاومة في ترجمة رواية نجمة لكاتب ياسين

عدّ كثير من النقاد 'رواية نجمة' التي نشرت لكاتب ياسين سنة 1956م مظهرا من مظاهر مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ومحاولة لاستعادة الهوية الجزائرية. وعلى

الرغم مما قيل فيها وعنها إلا أن مترجمها (السعيد بوطاجين) يدعونا إلى قراءتها بحذر فهي كما يقول: "ليست عملاً روائياً وكفى" (20) بل هي شتات وترميز وهدم ألزم المترجم "إعادة بنيتها جذرياً" (21) بل والرجوع إليها حتى يقدمها للقارئ العربي في أليق صورة. لكن ما هي مظاهر المقاومة في ترجمة السعيد بوطاجين؟

1.1.5 التوطين منهجاً للمقاومة: يظهر التوطين في كونه مقاومة حينما يقاوم المترجم غرابة النص بتكييف خصائصه الأسلوبية واللغوية والثقافية بحسب الوطن الذي سيقرأ فيه، فرواية نجمة وعلى الرغم من أنها أنتجت بلغة فرنسية إلا أنها ذات روح جزائرية، وما بعث روحها الوطنية هو ترجمتها إلى اللغة العربية لغة الجزائر الوطنية.

إن أبرز مظهر لمقاومة هوية النص الفرنسية هو سعي المترجم إلى توطين الرواية فقد صرح بنفسه في مقال له عن "ترجمة رواية نجمة" قائلاً: " كانت فكرة توطين الرواية بالنسبة إلي هي جوهر الترجمة لقد سعيت إلى جعلها رواية جزائرية الروح، وتفاديت حصرها جغرافياً بالاتكاء على بدائل لغوية لم تكن مجسدة نصياً حتى من قبل الكاتب نفسه وكنت أرى أي عدول عن لغة الكاتب هو خيانة له ولأثره، ومن ثم استقرار على لغة فصيحة بالدرجة الأولى" (22) وعلى الرغم من الجهد الذي بذله المترجم في تحاشي استعمال العامية واعتماد العربية الفصحى، إلا أن هنالك عبارات بقيت ذات طابع عامي ولا شك في أن هذا زاد الرواية تأكيداً لانتمائها ربما على عكس ما خشيه المترجم من أن ذلك يعد خيانة لها، فمثلاً عبارتي (Lakhdar s'est échappé de sa cellule التي ترجمت بلخضر هرب من الحبس) و (Loin de là التي ترجمت حاشاك) هما توطين إلى العامية الجزائرية كما أنهما بلغة عربية سليمة.

ثاني مظهر من مظاهر المقاومة يتجلى في توطين الأسماء والدلالات التي يختص بها المجتمع الجزائري - burnous البرنوس- عباءة للرجال منسوجة بالصوف و douar بالدوار وهو مجمع سكاني، ونقل الأسماء كأزميان ولخضر وهو الأخضر بالعربية- والسابقتين (Lalla/Si سي ولالة) في الأسماء سي الطاهر؛ وسي عبد القادر؛ لالة فاطمة واللذان ترمزان لتقدير من هم أكبر سناً وقيمة في المجتمع\_ وكلمة أيواه؟ (Aiouah?) وهي بالعامية وتعني وماذا بعد؟، وكلمة بخشيش وتعني هبة أو عطية، فهذه الأسماء والكلمات حينما يصادفها القارئ المشرقي أو الفرنسي مثلاً قد يجد صعوبة في فهم دلالاتها لكن حينما يقرأها القارئ الجزائري يفهمها ويشعر بقرعها منه وبالتالي انمحاء الهوية الفرنسية للنص.

تظهر المقاومة كذلك في توطين المترجم لبعض -إن لم نقل كل- تعابير وجمل النص الفرنسي ك: ( et vendu à vil prix \_ بيع بثمن بخس، و Ils ne se disent rien \_ لم ينبسأ بينت شفة، و ce n'est pas tout à fait la nuit \_ لم يرخ الليل سدوله بعد، و C'est une serpent qui écoute aux portes \_ إنه ثعبان يسترق السمع من خلال الأبواب، و j'ai pas fait long feu au village \_ لم يطل عهدي بالقرية، ولكنه يهبط مدرارا، و des signes d'impatience \_ أمارات قلق، و qui sévit contre leur existence \_ الذي يعيث فسادا في حياتهم، و Mourad a l'idée de le prendre en traître \_ كان في نية مراد أن يأخذه على حين غرة وغيرها كثير)، فضلا عن اختيار المترجم للمصطلحات العربية الفصيحة الفخمة (كتفّرّس، جاثم، قبط، انقضاض، أمد، زائع، خدر، المخضب، ثكلى، أريج والكثير الكثير منها في الترجمة). من الواضح أن وجود هذه التعابير والمصطلحات يساعد القارئ العربي على تجاوز عجمة النص الأصل وغبابة التركيب اللغوي الفرنسي وحتى غرابة أسلوب كاتب ياسين على حد قول مترجمه الذي أثر تفكيك فقرات الرواية وإعادة بناءها مما ضاعف عدد صفحات الرواية في الترجمة فبدت أطول من النص الأصل بكثير<sup>2</sup>.

## 2.5. مظاهر فعل المثاقفة في ترجمة رواية الزلزال

نشرت رواية الزلزال للطاهر وطار سنة 1974م<sup>3</sup> أيام ما يعرف آنذاك "بالثورة الثقافية" التي جاء بها بومدين إلى جانب الثورة الصناعية والزراعية من أجل تصفية البلاد من الاستعمار وإخراجها من عتمة التبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية. وذلك ما عالجتة الرواية إذ أنها كتبت بالعربية في عهد الكتابة باللغة الفرنسية وانتقدت التيار المناهض للوطنية ونادت بحق الشعب في امتلاك الأراضي وخدمتها وانتقدت النظام الإقطاعي الجائر.

<sup>2</sup> عملنا على الرواية بصيغة pdf. نشرت دار النشر الفرنسية لوسوي Le Seuil هذه الرواية سنة 1956م وجاءت في 139 صفحة، أما الترجمة فقد عملنا على النسخة الورقية لترجمة الأستاذ والناقد الجزائري السعيد بوطاجين التي نشرت سنة 2007 -منشورات الاختلاف وجاءت في 336 صفحة بمعنى قرابة ثلاثة أضعاف الرواية في صيغة pdf.

<sup>3</sup> لقد اخترنا النسخة الورقية التي نشرت سنة 2013 عن دار موفم للنشر -الجزائر جاءت الرواية في 210ص، أما الترجمة فقد عملنا على الترجمة التي نشرت سنة 2002م عن دار النشر ENAG-المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وجاءت الترجمة في 175 صفحة.

أما عن ترجمة الرواية إلى الفرنسية فقد اضطلع بها مترجم الأدب الجزائري اللغوي والأستاذ مارسيل بوا سنة 2002م الذي اختار أن يمد جسرا ثقافيا يتجاوز به التراكمات التاريخية والصور النمطية لفرنسا والفرنسيين عن الجزائر والجزائريين، فهل تراه أفجح في الأخذ بيد القارئ الفرنسي نحو الاعتراف بالآخر والتعايش معه أم أخفق؟ وما هي مظاهر ذلك الثقافة في ترجمته لرواية الزلزال؟

1.2.5. التفرغ من هجا للمثاقفة: يقتضي التفرغ - كما أسلفنا - نقل المترجم النص الأصل بما فيه من غرابة لغوية وثقافية وذلك بغرض تسليط الضوء على الاختلافات الموجودة بين الأنا والآخر وبالتالي ضرورة مراعاتها والثقافة معها من أجل التعايش في إطار الفهم والتفهم. لعل أبرز مظهر من مظاهر الثقافة في الترجمة الفرنسية لرواية الزلزال هو تفرغ الأسماء أي نقلها كما وردت في النص الأصل. ولنا أمثلة عن ذلك أولها عنوان الرواية (فالزلزال صارت Ez-zilzal) مرفقة بالمقابل الفرنسي تحتها (Le séisme) وهو نقل حرفي يتسم بالأمانة التامة للعنوان ودلالته. من الأمثلة كذلك ورود أغلبية الأسماء - إن لم نقل كلها - في الترجمة الفرنسية كما هي. من بينها أسماء الأعلام ك: (عبد المجيد بوالارواح - Abdelmadjid BOULAROUAH، نجيب محفوظ - Mahfoud NADJIB، زيروت يوسف - Youcef ZIROUT، بوجمعة - Boujemaà، ثمود - THAMOUD، يوغرطة - YUGURTHA، طاهر - TAHAR وغيرها)، وأسماء الأماكن ك(سيدي مسيد - Sidi M-Cid، باب القنطرة - Bab ELKantra، الرصيف - EL-Recif، القصبة - La Casbah، السوق - La Souika وغيرها)، وأسماء المأكولات ك(الفريك - Frik، الكباب - Kebab، ملوخية - Mouloukhia، كسكس - Couscous، شربة - Chorba وغيرها) وأسماء الألبسة أيضا ك(الملايا - m'laya، جبة - djebba، البرنوس الأحمر - burnous rouge وغيرها)، لقد جاءت الترجمة حافلة بالأسماء المقترضة من النص الأصل وقد اخترنا ما رأيناه أكثر تلاؤما مع غاية البحث.

مظهر آخر من مظاهر الثقافة في الترجمة الفرنسية يتمثل في نقل عبارات وجمل بأمانة فائقة. من أمثلة ذلك نذكر (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن - Les vents ne soufflent pas toujours au gré des vaisseaux، الشر يعلم السقاطة والعري يعلم الخياطة - La misère éveille l'appétit et celui qui n'a rien à se mettre sur le dos apprendra à coudre، الكلب بن الكلب - Chien fils de chien، يوجد في الغدير أو المستنقع ما لا يوجد في البحر - (On trouve parfois dans le fleuve ce qui est introuvable dans l'océan).

يبدو من خلال الأمثلة المنتقاة أن المترجم مارسيل بوا؛ وبعتماده على منهجية التغريب في الترجمة، قد أفلح في الأخذ بيد القارئ الأجنبي نحو التعرف إلى الخصائص التي يختص بها المجتمع الجزائري، فقد كان وفيًا جدا للنص الأصل بخصائصه الأسلوبية وجمله وتراكيبه، وبناء على هذا جاز القول بأن بوا BOIS أنتج ترجمة أدت فعل المثاقفة بامتياز.

لم يكن مارسيل بوا يعدّ نفسه وفيًا للنصوص الجزائرية فحسب بل تعدى وفاءه لبلد الجزائر وشعبها. ذكر واسيني الأعرج في مقال له في جريدة الوطن (*El Watan*) إنه حدّر مارسيل بوا ذات مرة في أيام التسعينات من حالة عدم الأمن الخطيرة التي تمر بها الجزائر، إلا أن بوا أجابه قائلا: "من أجل الذهاب إلى أين؟ لقد قال رشيد ميموني: حينما نبقى يموت بعضنا لكن حينما نغادر نموت بالكامل، وأنا أفضل أن أبقى فيموت بعضي، أؤمن إيماننا عميقا بقدر الأشياء، الأرض واحدة ولا يمكن تقسيمها، فالموت إما هنا أو نحن من يذهب إليه، لقد عشت خمسين سنة مع هذا الشعب وهبني الكثير من روحه وغمرني بسعادة كبيرة، لا يمكنني أن أتخلى عنه في الأوقات الصعبة. بالتأكيد أنا أنصح أصدقائي ألا يبقوا هنا فيموتوا برصاصة غادرة، لكن؛ بالنسبة إلي، لا أستطيع، فعندما أنغمس في العمل يتلاشى الخوف وما يبقى سوى السعادة التي تنعشني بها الكتابة" (23). ولا شك أن هذا الوفاء ذو القيمة الإنسانية العالية قد لازم بوا حتى في الترجمة، فقد كان المترجم الوفي للأدب الجزائري لكن ولسوء الحظ توفي بوا فهل سينعم الأدب الجزائري بمترجم وفيّ مثله؟

### الخاتمة:

يمكن أن تستخدم الترجمة إما أداة مقاومة أو وسيلة للمثاقفة بين الشعوب، فإن كانت أداة مقاومة فهي تقاوم لأسباب تاريخية وثقافية ولغوية وهي بذلك تنتهج التوطن فتوطن اللغة والخصائص الثقافية والأسلوبية من أجل إثبات الهوية كما حدث مع ترجمة السعيد بوطاجين لرواية نجمة إلى اللغة العربية، أما إن كانت الترجمة وسيلة للمثاقفة فهي تحاول تصوير الآخر بصورة مغايرة لأننا لثمةب الآخر نوعا من التقدير وفتح مجال التحوار معه لتغني ثقافتها ولغتها تماما كما فعل مارسيل بوا مع النص الجزائري المكتوب بالعربية الذي نقله بما فيه من غرابة طالت الكلمة فالمصطلحات إلى العبارات وحتى الجمل.

لقد تبين من خلال بعض تصريحات المترجمين أن ترجمتهما ليست بعيدة عن مبادئهما وموقفهما من الترجمة كمهنة، فكما رأى السعيد بوطاجين ضرورة طبع النص الفرنسي بطابعه المحلي وجعله يتكلم بلسان عربي مبين، رأى في المقابل مارسيل بوا أن عليه أن يكون

وفياً للبلد التي عاش فيها قرابة 50 سنة يكتب ويقرأ ويترجم نتاجها الأدبي إلى لغته الأم اللغة الفرنسية. ومن ثم فالترجمة عند كلهما عمل لساني يصقله موقف ترجمي.

### قائمة المصادر والمراجع

01. زجريد هونكه. (1993). شمس العرب تسطع على الغرب (الإصدار 8). (فاروق بيضون وكمال دسوقي، المترجمون) دارالجليل، بيروت، ص 12.
02. المرجع نفسه ص 13-14.
03. البعلبكي، رمزي منير. (2008). المورد الحديث: قاموس إنكليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ص 27.
- Munday, J. (2008). *Introducing Translation Studies-Theories and Applications*. Routledge, London & New York, pp. 131-132.
05. لورانس فينتي. (2010). فضائح الترجمة. ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، الجزيرة- القاهرة، ص 280.
06. أبو القاسم، سعد الله. (2007). دراسات في الأدب الجزائري. دار الرائد، الجزائر، ص 104.
07. Lawrence, Venuti. (1995). *The Translator's Invisibility*. Routledge, London & New York, p. 19-23.
08. بيرمان أنطوان. (2010). الترجمة والحرف أو مقام البعد. ترجمة: د. عز الدين الخطابي، بيروت-لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ص 189-190.
09. Douglas, Roubinson. (1997). *Translation and Empire: Postcolonial Theories Explained*. Routledge, London and New York p. 89.
10. بيرمان، أنطوان. (2010). ص 102-103.
11. Lawrence, Venuti. (1995). p. 20.
12. لورانس فينتي. (2010). ص 106.
13. Lawrence, Venuti, L. (1992). *Re-thinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology*. Routledge, New York, p. 02.
14. Lawrence, Venuti, L. (1992). p. 12.
15. Lawrence, Venuti. (1995). p. 20.
16. Myskja, K. (2013). *Foreignisation and resistance: Lawrence Venuti and his critics*. Nordic Journal of English Studies, pp. 1-23

Anthony, Pym. (2012). *On Translator Ethics: Principles for Mediating between Cultures*. (H. Walker, Trad.), John Benjamins, Amsterdam, Philadelphia, p. 67.

Anthony, Pym. (2012). p. 76.18

Anthony, Pym. (2012). pp. 76-78 .19

20. كاتب ياسين. (2007). نجمة. ترجمة: السعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ص 06.

21. المرجع نفسه ص 07.

22. بوطاجين، السعيد. (2010). ترجمة رواية نجمة لكاتب ياسين. معالم، العدد الثاني، ص 66.

23. Laredj, W. (2006, 02 23). *djazairess*. Consulté le 07 17, 2021, sur *djazairess.com*:

<http://djazairess.com>